

ULUSLARARASI SOSYAL ARAŞTIRMALAR DERGİSİ THE JOURNAL OF INTERNATIONAL SOCIAL RESEARCH

Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi / The Journal of International Social Research

Cilt: 14 Sayı: 77 Nisan 2021 & Volume: 14 Issue: 77 April 2021

www.sosyalarastirmalar.com Issn: 1307-9581

التحليل النفسي لابن سيده في معجمه "المحكم والمحيط الأعظم"

PSYCHOLOGICAL ANALYSIS OF IBN SIDAHA IN HIS DICTIONARY "AL-MUHKAM WA'L-MUHÎT AL-A'ZAM"

Ceyhun ÜNLÜER*

المخلص

ابن سيده (ت. 458هـ/1066م) أشهر علماء اللُّغة في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وهو صاحب معجم "المحكم والمحيط الأعظم" الذي يعدُّ من أهمِّ الموسوعات المعجمية بل واللُّغوية على السَّواء؛ لما يتضمَّنُه من مواد لغوية طائفة تجمع شتات اللُّغة بعروبيتها ومولدها والدَّخيل فيها، بشواهدا المختلفة من شعر ورجز وقرآن وحديث وأمثال وحكم ولهجات عربية وغيرها ممَّا أثر عن العرب، وذلك كلُّه من خلال استعراض لغويٍّ مميِّز لأحد أعلام الحضارة العربية الإسلامية؛ حيث إنَّ منشأه ليس بعربيٍّ لكنَّ براعته اللُّغوية فاقت أقرانه بشكل ملحوظ.

المدھش في الأمر عند ابن سيده أنَّه كان أعمى، لكن لم يكن فقدان البصر عائقاً في بيان ملكته اللُّغوية وعلمه الفذِّ، لكنَّ الكثير من معاصريه لم يلتفتوا إلى علمه وتجاهلوه عن عمد، فأثر ذلك في نفسه وبدأ يظهر غضبه وسخطه على كثير من الكتاب وينقدهم ويبين عظمته وإبداعه الذي يفوق غيره ويقرِّر أنَّهم عاجزون عن الإتيان بمثل ما أتى من علوم وفنون في اللُّغة والأدب وما يخدم العربية؛ من هنا كان التحليل النفسي لشخصية ابن سيده أمراً بالغ الأهمية لما انتاب هذا العالم من الظروف النفسية التي ألمت به من عمى وتجاهل، وبالرَّغم من ذلك أَلَّف معجمين كبيرين مختلفين في آن واحد؛ أحدهما عام وهو "المحكم والمحيط الأعظم" الذي يقع في أحد عشر مجلداً، والآخر خاص (معجم موضوعات) وهو المخصَّص الذي يقع في خمسة مجلِّدات (سبعة عشر جزءاً)؛ ولذا فقد كانت له اتِّجاهات نفسية تنعكس على آراءه ونجد في كتاباته يختلف- بقدر كبير- عن غيره من المؤلِّفين في مجالات شتى سواء أكانت لغوية أم صرفية أم نحوية أم أدبية، فقد شكَّل رؤية خاصة انطلق من خلالها إلى تأليف معجميه.

والاستعانة بالتحليل النفسي للكشف عن ميول ابن سيده والكشف عن مكبوتاته النفسية وعالمه الداخلي، والتي من خلالها نستطيع تحديد ملامح شخصيته؛ وهذا تدرکه جيداً عند عرضنا البسيط لنشأته وشيوخه والاتِّجاه السياسي الذي عاصره لنكشف اليقاب عن شخصية بارزة استطاعت بنفسية -الأعمى- والمتعدِّدة الاتِّجاهات أن تبرز أعمالاً عجز عنها المبصرون. كما تبرز دوافعه النفسية من خلال مهاجمته للمؤلِّفين غيره لإبراز نفسه؛ فكثيراً ما يهاجم كتب غيره ويذكر المؤلِّف وكتابه بشكل صريح، ويهاجم بالفاظ سيئة تحط من قدرهم كعلماء، فيقلل من شأن محتواها العلمي ومادتها المكتوبة.

الكلمات الافتتاحية: اللُّغة، المعجم، الصِّرف، النَّحو، المعنى، التحليل النفسي، النَّقد الأدبيُّ.

* Öğr. Gör. Dr., Hitit Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı. ORCID: 000-0002-1308-5790



Abstract

Ibn Sidah is the most famous linguist in Andalusia in the fifth century AH (Ibn Sidah died in 458 AH). He is the author of the dictionary "al-Muhkam wa'l-muhit al-a'zam" which is considered one of the most important lexical encyclopedias.

Although Ibn Sidah was blind, the loss of vision was not an obstacle to explain his linguistic possession and his exceptional knowledge, but many of his contemporaries did not pay attention to his knowledge and deliberately ignored him, so this affected himself and began to show his anger and rage on many writers and criticize them and demonstrate his greatness and creativity Who surpasses others and decides that they are incapable of producing the same sciences and arts in language and literature and what serves Arabic language.

Hence, the psychological analysis of the character of was Ibn Sidah extremely important Where he wrote two large different lexicons at the same time; One of them is general, and it is the "Al-Muhkam wal-muhit al-a'zam", which is located in eleven volumes, and the other is special "al-Mukhassas", which is located in five volumes; Hence, he had psychological trends that were reflected in his views, and we find in his writings what is significantly different from other authors in various fields, whether linguistic, morphological, grammatical, or literary.

In this research, I tried to reveal the psychological dimension of Ibn Sidah through my presentation of his upbringing, learning, and the political trend that witnessed about a prominent personality who was able to offer important creativity in the field of linguistics.

Keywords: Language, Lexicon, Morphology, Syntax, Meaning, Psychological Analysis, Literary Criticism.

مقدمة البحث

يتناول البحث موضوع: (التحليل النفسي لابن سيده في معجمه "المحكم والمحيط الأعظم")؛ وهو معجم يتكون من 11 جزءاً، ويعتبر مرجعاً لغوياً حيث يضمُّ كلمات اللغة العربية - معجم أحادي اللغة - ويثبت هجاءها ونطقها ودلالاتها واستخدامها ومرادفاتنا واشتقاقاتها.

ومؤلفه (ابن سيده) أشهر علماء اللغة في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وبرغم أنه كان كفيفاً فقد ألف هذا المعجم وألف معجماً آخر ضخماً وهو "المخصّص"، في نفس الوقت الذي كتب "المحكم" فيه على حسب أغلب الآراء.

محتواه اللغوي

هو معجم ألفاظ عام - ليس متخصصاً في فرع معين، أو لمعانٍ محدّدة - وهو يهتمُّ بالدرجة الأولى باللغة العربية من بدايتها إلى القرن الخامس الهجري من خلال النصوص التراثية من شعر وحكمة وأمثال ورجز وقرآن كريم وحديث شريف، والتطرق للدخيل والمعرّب والمولد وبيان أصله.

الهدف من تأليفه

هو الإرشاد إلى الكلمة الصحيحة كتابةً ونطقاً ودلالةً، وبيان أصولها واشتقاقاتها المختلفة ونشأة الكلمة وتغيراتها الدلالية إن وجد؛ لذا فهناك غزارة في الاستشهادات الشعرية والقرآنية، وكذلك الأراجاز والأحاديث النبوية، والأمثال والحكم، واللّهجات العربية.

أهمية البحث

يعدُّ هذا المعجم الضخم والموسوعي من أهمّ المعاجم العربية وأكثرها فائدة، لما فيه من فوائد لغوية جمة لا تقتصر على إيراد معنى الكلمة أو بيان مصدرها وجمعها أو مفردتها، وهل هي اسم أم فعل أم حرف، بل يتعدى هذه التحليلات اللغوية لنطاق أوسع يتبحر فيه في علوم الصرف والنحو والعروض وغيرها من فنون اللغة والأدب. كما اهتمَّ ابن سيده في معجمه بمسائل لم يهتم بها غيره مثل: التمييز بين المشتبهات كالجمع واسم الجمع وجمع الجمع.

هدف البحث

التحليل النفسي لشخصية ابن سيده، وهذا أمر بالغ الأهمية لما انتاب هذا العالم من ظروف نفسية بسبب أنه كان أعمى من ناحية وتجاهل علماء عصره له من ناحية أخرى، وبالرغم من ذلك ألف معجمين كبيرين محتلفين في آن واحد؛ أحدهما عام وهو "المحكم والمحيط الأعظم"، والآخر خاص (معجم موضوعات) وهو المخصّص الذي يقع في أربعة مجلدات؛ ولذا فقد كانت له اتجاهات نفسية تنعكس على آراءه ونجد في كتاباته ما هو مختلف - بقدر كبير - عن غيره من المؤلفين في مجالات شتى سواء أكانت لغوية أم صرفية أم نحوية أم أدبية، فقد شكّل رؤية خاصة انطلق من خلالها إلى تأليف معجمه المحكم الذي نجد فيه ملاحظات كثيرة؛ من أهمها:

1- يعتبر صاحب "المحكم" بأنه حذف أموراً لا غناء فيها؛ فقد حذف مثلاً المشتقات القياسية لاطرادها.



- 2- صعوبة بعض الاستشهادات الشعرية المكتفة، والاهتمام بمسائلها العروضية وما يتعلّق بها من مصطلحات جعلت المعجم - أحياناً - موسوعة أدبية.
- 3- الجزالة اللغوية المتعمدة كثيراً من خلال استخدام ألفاظ ومترادفات شديدة الصعوبة لإبراز ملكته اللغوية وإتقانه لعلوم العربية وبيان تفرده عن أقرانه من المؤلفين.
- 4- صعوبة ترتيب المداخل؛ حيث إنّه يسير على نظام معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي - أول معجم عربي- مع فروق طفيفة؛ فهو يسير على نظام التّقليب وأبوابه مرتّبه على أساس مخرجي، كما أنّه تابع النّظام الكميّ داخل الأبواب.

منهج البحث

إنّ المنهج المتّبع في البحث هو المنهج النّفسيّ والمعتمد على المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ حيث يقوم على وصف المعجم من حيث ظواهره اللغوية وبيان أبعادها الدلالية وكيفية تناولها، من خلال الدوافع النّفسيّة لابن سيده؛ وذلك من خلال تحليل للجزء الأوّل وخاصّة المقّمة التي يبرز فيها ابن سيده دوافعه النّفسيّة لتأليف معجم المحكم.

طّة البحث

يتكوّن البحث من: مقدّمة نبيّن فيها التّعريف بالموضوع وبيان أهميته وأهدافه ومنهجه المعتمد على المنهج النّفسيّ بالدرجة الأولى، ثمّ تمهيد عن (ماهية التّحليل النّفسيّ)، ويأتي بعد ذلك أربعة مباحث؛ كلّ مبحث يتضمّن عدّة مسائل تحوم حول الفكرة الرئيسيّة للمبحث؛ حيث يأتي المبحث الأوّل عن: (الأثر النّفسيّ في حياة ابن سيده)؛ وفيه حديث عن: الأثر النّفسيّ لمولده ونشأته، والأثر النّفسيّ لشيوخه وأساتذته، والأثر النّفسيّ لابن سيده في بلاط مجاهد العامري. والمبحث الثاني عن: (النقد والتّحليل النّفسيّ). والمبحث الثالث عن: (حديث ابن سيده عن معجمه والافتخار به). والمبحث الرابع عن: (التّحليل النّفسيّ لأراء ابن سيده في "المحكم والمحيط الأعظم")؛ وفيه حديث عن: مهاجمة المؤلفين غيره لإبراز نفسه، والثّباهي (الافتخار) بنفسه وبأعماله العلميّة، وحبّه الشّديد لأفئدة اللّغويين والأدباء، وآراء العلماء في ابن سيده. ثمّ تأتي الخاتمة لتبرز أهمّ ما توصّل إليه البحث من نتائج تليها قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

التمهيد: ماهية التّحليل النّفسيّ

يستخدم التّعبير (التّحليل النّفسيّ Psychoanalysis) بمعانٍ متعدّدة، فقد يعني نظرية معينة في علم النّفس وضعها سيجموند فرويد، وقد يشير إلى مدرسة ذات اتجاه معين ووجهة نظر خاصّة في الظواهر النّفسيّة، ويدلّ أيضاً على منهج خاصّ في تشخيص وعلاج الاضطرابات العصبيّة والعقليّة، وتتميّز بوجهة نظر التّحليل النّفسيّ بنظرة ديناميكية للحياة الشعوريّة والأشعوريّة، مع التّأكيد خاصّة لظواهر الأشعور، وبأسلوب خاصّ في الفحص والعلاج ويعتمد على استخدام "التّداعي الحرّ" أو "الارتباط الحرّ" المتواصل وقد وجد اتجاه التّحليل النّفسيّ في فهم نمو الشّخصيّة انبثاقاً كبيراً خلال تعاليم فرويد (المليجي، 2000، 42).

التّحليل النّفسيّ يستخدم كمنهج في علاج العصائيين، كما أصبح نظرية سيكولوجية شاملة عن الإنسان، يقوم بدراسة العناصر الطّبيعية للكائن البشريّ، مع الكشف عن ميوله ومكبواته النّفسيّة وعالمه الدّاخليّ، ومن خلالها نستطيع تحديد ملامح شخصيته (فارسي، 2014، 9-13).

وهذه الفكرة الأخيرة المعمول بها في تحليل الأعمال الأدبيّة وتوظيفها في التّد الحديث؛ وهي فكرة الكشف عن ميول ابن سيده والكشف عن مكبواته النّفسيّة وعالمه الدّاخليّ، والتي من خلالها نستطيع تحديد ملامح شخصيته؛ وهذا تدرّكه جيداً عند عرضنا البسيط لنشأته وشيوخه والاتّجاه السياسيّ الذي عاصره لنكشف الثّقاب عن شخصيّة بارزة استطاعت بنفسية- الأعمى- والمتعدّدة الاتّجاهات أن تبرز أعمالاً عجز عنها المبصرون.

المبحث الأوّل: الأثر النّفسيّ في حياة ابن سيده

الأثر النّفسيّ لمولد ابن سيده ونشأته

استقبلت مدينة مرسية مولد علي بن إسماعيل سنة 398هـ/1007م، ونشأ في بيت علم، فكان أبوه معلماً للغّة والنّحو، فتعهد ابنه بالرّعاية والتّعليم، وشاعت الأقدار أن يكون الطّفل ضريراً مثل أبيه، لكنّ الله رزقه حافظة لاقطة وذهناً متوقّداً، وذكاءً حاداً، عوض فقدان البصر.

ولم تطل الحياة بأبيه، فتوفي وترك ابنه صغيراً لم يحصل شيئاً ذا بال، لكن همّة الصغير النّاشئ سمت على اليتيم وفقد العائل، فتردد على حلقات العلم ينهل منها بشغف لا يقف عند حدّ، حتّى إنّ أبا عمر الطّلمنكي حين دخل مرسية أراد أهلها أن يسمّوا عليه كتاب "الغريب المصنّف" لأبي عبيد القاسم بن سلام وهو من كتب اللّغة التي تُعني بالغريب فقال لهم: انظروا من يقرأ لكم، وأمّسك أنا كتابي، فاتّوه بابن سيده، فقرأ عليه من حفظه الكتاب كلّ من أوّله إلى آخره (ابن بشكوال، 1994، 2، 396؛ للمعلومات المفصّلة عن ابن سيده ومعجمه المحكم راجع (Ünlüer, 2020).

الأثر النّفسيّ لشيوخه وأساتذته



يذكر المؤرخون أنّ ابن سيده أخذ عن صاعد البغدادي الوافد على الأندلس من المشرق، وكان من العارفين باللُّغة وفنون الأدب والأخبار، وتتلّمذ على أبي عمر أحمد بن محمّد الطلمنكي المتوفى سنة 428هـ/1036م، وكان إمامًا في القراءات، ثقة في رواية اللُّغة، مفسِّرًا محدِّثًا، مشهورًا بالورع ومحاربة البدع.

وقد درس ابن سيده ما كان شائعًا في عصره وما يتفق مع حالته، فعني بعلوم اللُّغة والدين، ونهل منهما بالقدر الذي كانت تسعفه به ذاكرته الجبارة، حتّى وصفه معاصروه بأنّه كان حافظًا لم يكن في زمانه أعلم منه باللُّغو والأشعار وأيام العرب، كما توفّر على علوم الحكمة والمنطق حتّى وصفه صاعد اللُّغويّ بأنّه من خُذّاق المنطق، وقال فيه ابن قاضي شهبة في طبقاته: "ومن وقف على خطبة كتاب المُحكّم علم أنّه من أرباب العلوم العقلية، وكتب خطبة كتاب في اللُّغة إنّما تصلح أن تكون خطبة لكتاب الشفاء لابن سينا" (قاسم، 1987، 91).

الأثر النفسي لابن سيده في بلاط مجاهد العامري

كانت الفترة التي عايشها ابن سيده فترة قلق وصراع على السُّلطة بعد وفاة المنصور بن أبي العامر، وانتهاء دولة الأمويين في الأندلس سنة 428هـ، وأسفر الصراع عن ظهور دول الطوائف واستقلال كلّ إمارة بأمر يتولى أمرها، وكان من نصيب مدينة دانية في شرقي الأندلس أن استقلّ بحكمها مجاهد بن عبد الله العامري، وكان من أصحاب الهمة العالية، محبًا للعلم وأهله؛ فقصد العلماء والفقهاء يلقون في كنفه كلّ رعاية وتقدير، فقصد ابن سيده وانقطع له، وألف له أعظم كتبه: المخصّص والمحكم (راغب السرجاني، 2010، 319-324؛ مطلق، 1967، 259؛ رودريكس، 1975، 328).

المبحث الثاني: النّقد والتّحليل النفسي

بظهور الاتجاه النفسي كمنهج في التّحليل، استطاع النّاقِد العربي أن يستوعب المنهج ويتّخذ كوسيلة، في تحليل شخصيات بعض الكُتّاب؛ ولهذا كانت العلاقة وطيدة بين النّقد والتّحليل النفسي. ويمكن تسجيل الملاحظات المتّصلة بالرؤية التي يسعى النّاقِد من خلالها مقارنة النصوص المكتوبة من منظور نفسي، وأهمّ ما يمكن الأخذ به هو الميل الواضح إلى تبني مزاجية منهجية بين المنظور الفرويدي وبين المقاربة السييسولوجية إلا أنّ مسار التّحليل ينطلق الرؤية النفسية والواقع اللاشعوري ليصل إلى الحقيقة الاجتماعية (عيلان، 2010، 150).

فمن خلال الانطلاقة المنهجية للنّاقِد خاصّة في تحليل النصوص الأدبية حيث نجد قد بنى رؤيته من التّحليل النفسي ليصل إلى الواقع الاجتماعي للعمل الأدبي.

"كما أنّ النُّقطة الأساسيّة التي يتميِّز بها الأساس المنهجيّ، الذي يتبنّاه النّاقِد هو إشارته المهمة إلى أنّ الممارسة النّقدية في مجال النفسي، لا يجب أن تتوجّه نحو المؤلّف بقدر ما تكون غايتها النصوص الأدبية في ذاتها، بل إنّ الدِّراسة الممارسة هي من صميم النّقد وليس التّحليل النفسي" (عيلان، 2010، 151).

ومن خلال الصِّلة بين النّقد والتّحليل النفسي، فإنّ النّقد يركّز على النّصّ وتحليله وتفكيك بنيته، مع الإستعانة بالمنهج النفسي.

"وتكمن أهمية علم النفس والتّحليل النفسي بالنسبة للنّقد في أنّه مضلة واسعة تدرج تحتها عدة مسارات مهمّة، النّمّو الإنسانيّ ومراحله إلى سنّ الرُّشد، وعملية التّأويل والتّحليل وكذلك فعالية الاستشفاء والعلاج" (الليازغي، 2002، 332).

وبفضل هذا العلم، تيسر من خلاله التعرف على المراحل المهمة، في حياة الإنسان وتطوُّرها إضافة إلى اكتشاف الأمراض، التي يعاني منها والوصول إلى طرق العلاج.

"إنّ التّحليل النفسي على هذا يدخل الفن والأدب في جانبين مهمّين منهما الأوّل: تفسير عملية الإبداع، والثّاني: تفسير النّصّ الأدبيّ، وإذا حصرنا كلامنا في الأدب مرّة بما يعكسه النّصّ على حياة صاحبه الخاصّة وهذا يخصّ علم النفس أوّلاً ومرّة بما يعكس حياة المؤلّف الخاصّة على النّصّ وهو من صميم النّقد الأدبي ولاسيما عندما تكون رمزية النّصّ غامضة" (الطاهر، 1997، 426).

إضافة إلى ما سبق في أهمية علم النفس وأثره في الأدب، تكون العلاقة مرّة بما يدور في النّصّ من خلال صاحبه، وكذلك بما يجول في حياة المؤلّف وأثرها على النّصّ.

إنّ "أهمية التّحليل النفسي تكمن في خلخلته بعض المسلّمات وذلك بافتراض "الأنا ليست سيّدة بيتها"؛ ومعنى هذا أنّ هناك أشياء تفكر بداخل الأنا وتوجه أفعالها مع أفكارها أن تحاط علمًا بحدوث بعض الطّواهر أمّا الأدب فعن طريقه نعي" (المؤذن، 2009، 304). إنّ التّحليل النفسي يبحث عن ما تختلجه النفس البشرية من مكبوتات وأفكار غامضة، أمّا الأدب فهو الوسيلة التي يمكن للنفس البشرية التّعبير والوصول إلى ما هي بحاجة إليه.

لقد حظي نقدنا الحديث، بظهور عدّة اتجاهات فكريّة ساهمت في تحليل بعض الدِّراسات الأدبية، ومن بين هذه الاتجاهات النّقد النفسيّ والذي ظهر خلال تأثر مجموعة من النّقاد العرب بالنظريات الغربية والتي حاولوا تطبيقها على الأدب العربي.

"وتظهر ملامحها من خلال التّحليل النفسيّ للأدب، وقد أصبح في الغرب منهجًا مألوفًا بينما يزال عندنا في طور التّكوين، وربّما كان "أمين الخولي" أوّل من عني بالملاحظات النفسية في أدب العرب القدامى حين نشر بحثًا بعنوان "البلاغة



وعلم النفس"، وتلاه "محمد خلف الله" في مقال حول "التيارات الفكرية التي أثرت في دراسة الأدب"، ومقال حول "نظرية عبد القادر الجرجاني في أسرار البلاغة" (نجم، 1991، 43).

ويُضح أن المنهج النفسي، لم يظهر في الأدب العربي بقوة، فلامحه كانت بسيطة من خلال تسجيل بعض الملاحظات، التي استعان بها النقاد وتم تطبيقها على الأعمال الأدبية ولم يتخذ كمنهج مستقل بذاته.

"وأكبر الظن أن هذه الملاحظات أغرت "طه حسين" فتوسلها في كتاب عن أبي العلاء المعري، كما استهوت العقاد فاستغلها في تأليفه عن أبي الرومي وعمر ابن أبي ربيعة، ولا نغفل المازني الذي استعان بهذه الملاحظات النفسية في مقالات متفرقة، في "حصاد الهشيم" و"خيوط العنكبوت"، وظهرت آثار هذا المنهج أيضاً في دراسة "إسماعيل أدهم" حول "توفيق الحكيم" و"خليل مطران" (نجم، 1991، 43).

وبفضل هذه الملاحظات السابقة، اتسعت دائرة التأثير، لتكتمل مجموعة من النقاد التي استهوتهم، فلجأ البعض في تحليل بعض الشخصيات، من خلال أعمالهم، وتطبيق هذه الملاحظات عليهم. "بيد أن هذه الملاحظات جميعاً لم تتبن المنهج النفسي بمفردها، إلا نادراً وغالباً ما توسل الأدياء هذا المنهج عاملاً مساعداً لسائر المناهج الأدبية ولعل أقرب الدراسات إلى المفهوم النفسي الحديث مؤلفات محمد التويهي "نفسية بشر" و"نفسية أبو نواس"، وما أصدره سوييف عن "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر"، وما نشره عز الدين إسماعيل في "التعبير النفسي للأدب"، وعن إلياس أبو شبكة "إرهاب المرأة في أدب أبو شبكة" إعتبر التفسير النفسي منهجاً أساسياً ولم تتوسل أداة مساعدة من بين الأدوات" (نجم، 1991، 43).

يتبين أن بعض الدراسات اقترنت إلى المنهج النفسي، وكان لها بصمات خاصة من بعض النقاد الذين اتخذوا المنهج النفسي وتبنه لهم، ويظهر جلياً في تحليل نفسية الأدياء من خلال أعمالهم، ومدى الحالة النفسية التي يعاني منها الأديب في حياته. وما لهذا المنهج أو المدرسة من أعلام بارزة استطاعت أن تقدم الكثير منها: "فرويد أول من أخضع الأدب لتفسير النفسي، كان شغوفاً بقراءة الآثار الأدبية شديدة الإعجاب بالشعراء والأدياء لأن الشاعر عنده رجل تراوده الأحلام في اليقظة كما تراوده في نومه، ولقد وهب أكثر من أي إنسان آخر القدرة على وصف حياته العاطفية وهذا الامتياز يجعل منه في رأي فرويد صلة وصل بين ظلمات الغرائز ووضوح المعرفة العقلانية المنتظمة" (حيدوش، 14).

يعتبر فرويد رائد مدرسة التحليل النفسي، كان من المهتمين بدراسة الحالات النفسية أو أثرها على الأدب، خاصة وأن الإنسان لا يستطيع التعرف على عالمه الداخلي في حياته، يحاول من خلال التحليل النفسي اكتشاف الخبايا والمكبوتات التي يكون أثرها غير ظاهر إلا بعد التحليل؛ فالأدب إذن يقدم الأنماط العامة أو المادة الخام عن النفس الإنسانية فتنتفع بها مصطلحات التحليل النفسي، فعن طريقه نستطيع التعبير عما يدور في النفس البشرية ومنها نسهل العمل للتحليل النفسي (حيدوش، 14).

المبحث الثالث: حديث ابن سيده عن معجمه والافتخار به

تكلم ابن سيده عن تأليفه في المعاجم بنوعها المتخصصة والعامية؛ فيشير إلى تأليفه لمعجم متخصص وهو "المخصص" الذي ألفه قبل "المحكم" قائلاً: "وألفت كتابي الملخص، الذي سمّيته "المخصص"، وهو على التوبيع، في نهاية التهذيب، وقد أزيئت في صدره: لم أردت وضعه على ذلك، وهينئته بكيفيته ورتبته مودعة في سرّ خطبته" (ابن سيده، 1316، 1، 10).

ثم يتكلم عن معجمه "المحكم" قائلاً: "ثم أمرني بالتأليف على حروف المعجم، فصنفت كتابي "الموسوم بالمحكم"، وهو الذي أخطبني نداءً عليه، وخطبني لك خداء بك إليه. فرُد بدائع زهره، وردّ مشارع نهره، وتمشّ في بساينه، وقلب طرفك في تهاويل رياحينه، وملّ إليه عينا وأذنا، تأتق به نعمة وحسنا، ولا يرمينك الحسد بما يكمد منه الروح والجسد، فإنه لا راحة لحسود، ولا نعمة دائمة لكئود" (ابن سيده، 2000، 1، 36، 37).

ويفتخر به قائلاً: "فإن كتابنا هذا مدعاة للنفس الشاردة، مذكاة للقلوب الهامدة، معلقة بفؤاد المتفهم، مأنقة لعين الناظر المتوسم، روض ما أزهى أزهيره، وأبهى في عيون الأفاهيم أشاهيره! وإن كنت إنما أطفأت الأنوار بالغميان، وزفقت الأبرار إلى الخصيان، غير أنه إذا سعد برضا الأمير، أطال الله بقاءه - وأدام عزته وعلاؤه - فقد أغنى عن الوشل البحر، وإذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر" (ابن سيده، 2000، 1، 38).

"إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذب الفصول، مرتب الفروع بعد الأصول، ومن شافه علما من علم الضرورة، لم يأل في التحفظ بتقديم المادة على الصورة. هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب، والإشباع والإتساع، والإيجاز والاختصار، مع السلامة من التكرار، والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة، فكم باب في كتب أهل اللغة أطالوه، بأن أخذوا محموله على أنواع جمّة، وأخذته أنا على الجنس، فعنيت عن ذكر الفروع بذكر الجنس، فإنه إذا كان المحمول مأخوذاً على الحيوان، فلا محالة أنه مأخوذ على السبع والفرس والإنسان، وغير ذلك من الأنواع التي نجد الحيوان لها جنسا" (ابن سيده، 2000، 1، 39).

ويكرر افتخاره بكتابه في عدة مواضع قائلاً: "فإن رأيت قضية من كتابي قد ساوت قضية من كتب أهل اللغة في اللفظ، أو قاربته، فأقرن القضية بالقضية، يلح لك ما بينهما من المزية، إما بفائدة يجل موضعها، وإما بصورة عبارة يلد موقعها" (ابن سيده، 2000، 1، 38).

حديثه عن منهجه في المعجم ليبرز فوقه على غيره

اهتمامه بالصرف والأوزان الصرفية والمسائل النحوية معتمداً في ذلك على إمام النحاة سيبويه، وكتابه "الكتاب" الذي أطلق عليه النحاة "قرآن النحو" وغيره من أئمة النحاة الكبار الموثوق في علمهم وترسيخهم لقواعد اللغة وقد ذكر هذا وأكد عليه.



يقول عن سيبويه: "ولله درّ خُذّاق النحويين، سيبويه فمن دونه، في النحرز من ذلك، وأين أجسم فائدة في هذه الجموع من قول سيبويه في الشيء الذي ينفرد ببناء واحد من الجمع، إنه لا يكسر على غير ذلك، كالأفئدة، والأكف، والأقدام، والأرجل، وغير ذلك، ممّا لا أستطيع وفّقك على جميعه، إلا بقراءة كتاب سيبويه، الذي هو نُور الآداب، ومادة أنواع الإعراب" (ابن سيده، 2000، 1، 38).

يبرز الجديد في معجمه من هذه المسائل التي أغفلها المعجميون قبله؛ مثل حديثه عن الجمع واسم الجمع وجمع الجمع والتفريق بين هذه المباحث مع الاستشهاد (ابن سيده، 2000، 1، 39)، بقول الله تعالى: "فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ" (سورة البقرة، 283/2)، مع أنّ القراءة المعتمدة (فرهان مقبوضة) إلى أنّه ركز على القاعدة وهي جمع الجمع ثمّ جاء بقراءة غير معتادة لتأكيد فكرته، وكان عليه أن يوثق الآية ويبين القراءات المختلفة لها لكنّه لم يفعل.

يتحدّث عن أوزان الجمع ليبين أنّه جاء بجديد لم يتطرّق إليه المعجميون من قبله قائلاً: "ومن غريب ما تضمّنهُ هَذَا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجمع، والتّنبية على الجمع المركّب، وهو الذي يسميه النحويون جمع الجمع، فإنّ اللّغويين جمّا لا يميّزون الجمع من اسم الجمع، ولا يُتّهبون على جمع الجمع. ومن الأبنية ما يجوز أن يكون جمعا، وأن يكون جمع جمع، وذلك أدقّ ما في هذا الجنس المُقتضى للجمع، فإذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع، أعلمنا أيّهما أولى به: الجمع أم جمع الجمع، كقوله تعالى: (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ)؛ فهذا إما أن يكون رهن، كسحلّ وسحل، وسقفّ وسقف، وإما أن يكون رهن كسّر على رهان، ثمّ كسّر رهان على رهن، فيكون على هذا رهن جمع جمع؛ لأنّ الجمع إذا كان على شكل الواحد، ثمّ كسّر، فحكمه أن يكسر على ما كسّر عليه الواحد المُشاكل له في البناء" (ابن سيده، 2000، 1، 39).

حديثه عن الجديد في معجمه لبيان فرده في الصّرف

ومن أغرب ما تضمّنه هذا الكتاب، أن يكون الاسم يُكسر على بناء من أبنية أدنى العدد أو أكثره، لا يتجاوز إلى غيره، فإذا جاء مثل هذا، قلنا: إنه لا يكسر على غير ذلك، وذلك نحو الأفئدة، والأذرع، والأكف، والأقدام، والأرجل، فإنه لا يكسر واحد من هذه عند سيبويه على غير هذه الأبنية الدّالة على أدنى العدد، وإن غنى به الكثير (ابن سيده، 2000، 1، 41).

وممّا انفرد به كتابنا: الفرق بين القلب والبدل، وعقد اسم الفاعل بالفعل إذا كان جارياً عليه، بالفاء، وعقدّه إذا لم يكّ جارياً عليه، بالواو، وذلك لسبب دقيق فلسفيّ، لطيف خفيّ نحويّ.

ومنه التّنبية على شاذّ النسب، والجمع، والتّصغير، والمصادر، والأفعال، والإمالة، والأبنية، والتّصارييف، والإدغام، وتخليص القضية من الحشو، حتّى لا سبيل إلى الزّيادة فيها، ولا التّفحصان منها البتّة (ابن سيده، 2000، 1، 39).

ومن طريف اختصاره، ورائق بديع نظم تقصّاره أنّي إذا ذكرت "مفعلاً" لم أذكر "مفعلاً"، لعلمى أنّ كلّ "مفعّل" مقصورٌ عن "مفعّل"، على ما ذهب إليه الخليل.

ومنه: أنّي لا أذكر "أفعال" إذا ذكرت "أفعل" من الألوان؛ لأنّ كلّ "أفعل" عند سيبويه من الألوان، محذوفة من "أفعال" إبتار التّخفيف.

ومنه: أنّي إذا ذكرت "فُعِلًا" أو "فَعَلًا" لم أذكر "فُعِلًا" ولا "فَعَلًا" (ابن سيده، 2000، 1، 39).

ومنه: أنّي لا أذكر الجمع المسلّم إلا أن يكون تشبيهاً بالمكسر في كونه سماعياً.

ومنه: أنّي لا أذكر تكسير المزيّد من الثلاثي.

ومنه: أنّي لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتلّ العين على "فَعَلَة" إلا أن يصحّ موضع العين منه.

وكذلك لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتلّ اللّام على "فَعَلَة".

ومنه: أنّي لا أذكر اسم المصدر الذي يجيء من "فَعَل يفعل" على "مفعّل"، لا طراد.

وكذلك لا أذكر ما جاء من أسماء الرّمان من "يفعل" على "مفعّل" لا طراد. ولا أذكر ما جاء منهما على "مفعّل" من "فَعَل يفعل"، أو "فَعَل يفعل". وكذلك أسماء المكان، إلا أن يشدّ شيء كمشرق ومغرب ومسجد ومئبّت ومطبع (ابن سيده، 2000، 1، 42).

ومنه: أنّي لا أذكر اسم المصدر والرّمان والمكان من الأفعال الثلاثية المعتلّة العين أو اللّام؛ لأنّ بناء ذلك في جميع هذه الأنواع مُطرّد، فإنّ شدّ من ذلك شيء ذكرته، نحو ماوى الإبل، وقد ذكرت فساد بنائه في كتابي الموسوم بالمخصّص (ابن سيده، المخصّص، 2: 56).

ومنه: أنّي لا أذكر أفعال التّعجب فيه البتّة، لا طراد صيغها، وأنّه إذا كانت صيغة فعل، أمكن التّعجب منه إمّا بوسيط، وإمّا بغير وسيط.

ومنه: أنّي إذا رأيت صيغة مفعول لا فعل له، أشعرث بذلك.

ومن بديع تليخيصه، وغريب تخليصه، أنّي أذكر صيغة المذكّر، ثمّ أقول: والأنثى بالهاء، فلا أعيد الصّيغة، وإن خالفت الصّيغة أعلمت بخلافها، إن لم يكن قياسياً، نحو: بنت أو أخت.

ومنه: أنّي إذا رأيت فعلاً لا مصدر له، أشعرت بمكانه، وذلك نحو: يذّر ويذع، فأبي أقول في مثل هذا: وليس لهذا مصدر. وكذلك إن لم يكن للفعل ماض أعلمت به أيضاً، وذلك كهذين الفعلين اللّذين لا مصدر لهما، فإنّه لا ماضى لهما، فإن كان للفعل مصدر قد غوّض إيّاه من غير لفظه، قلت: لا مصدر له إلا هذا، نحو ما حكاه سيبويه من قولهم: هو يدعه ترّكا.



ومنه: أنه إذا جاء البناء يدلُّ على المعنى: إمَّا بالزُّوم، وإمَّا بالغلبة، قلت: إنَّ هذا لازم، إن كان لازمًا، أو غالب إن كان غالبًا، نحو ما يحكيه سيبويه في صيغ الأفعال كأفعلتُ بمعانيها، واستفعلتُ، وأفعلتُ، وفعلتُ، وأفعلتُ، وأشبه ذلك. وكذلك إذا جاء المصدر قد كثر في بعض المعاني أعلمت بكثرة، نحو القوانين التي حكاها سيبويه في أول باب من المصادر. ومن ذلك أن أفرق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذي هو لغة في الفعل، وليس بمنقلب عنه، بوجود المصدر وعَدَمه (ابن سيده، 2000، 1، 43).

ومنه: أنه إذا تغيَّر شكل المقلوب عمَّا انقلب عنه، أعلمت أن تحوُّل شكله لا يبرِّئه من الانقلاب عمَّا انقلب عنه. ومن ذلك تنبيهي على كلِّ ما يُهْمَز، مما ليس أصله الهمز، من جهة الاشتقاق. ومنه: تنبيهي على البديل اللّازم في حروف العلة، كعبيد وأعياد، وزير نساء وأزيار. ومنه: إشعاري بالكلمة التي تقال بالياء والواو، عينا كانت أو لامًا، كباب قنيتُ وقنوت، وإشعاري بالمعاقبة الحجازية في الياء والواو، لغير علة إلا طلب الخفة، كصوام وصيَّام. ومنه: التنبيه على الجموع التي لم تُكسَّر على واحد، كملامح ومشايبه وليالي. وإعلامي في باب النسب إلى المضاف، إلى أي المضافين يكون النسب؟ وإشعاري بالصيغ المأخوذة من حروف الأول والثاني (ابن سيده، 2000، 1، 44). ومنه: تنبيهي على ما تنقلب عنه الألف العينية واللامية، وعلى ما جاء من المثني على غير واحد، فأحدث ذلك فيه حُكْمًا من أحكام العربية، نحو ما حكاها سيبويه.

ومن ذلك: التنبيه على ما لا يُستعمل إلا ظرفًا، نحو ذات مرّة، وبُعيدات بين، وجميع ما حكاها سيبويه من ذلك. ومنه: إشعاري باللفظة التي تكون للواحد والجميع، نحو: "بادي الرأى" (سورة هود، 21/11)، ثم يأتي حكم بعد التعقُّب، فيشعر أن اللفظة للجميع، على غير صيغتها في الواحد. ومنه: تحريزي للمندرس من الأسماء الأعلام التي هي صفة في أوضاعها، كالحسن والعباس، وأن اللّام في ذلك أشعار بالصّفة، وحذف اللّام إشعار بالعلمية (ابن سيده، 2000، 1، 45). ومنه: تذكيري بالأحادي التي جاءت على "مفاعل ومفاعيل" وما شاكلها.

وفي كتابي هذا أشياء من الاختصار، وتقريب التّأليف، وتهذيب التّصنيف، ما لو ذكرته لكان فيه سفر جامع، ولكي بهذا الذي أريته منه قانع (ابن سيده، 2000، 1، 46). وأنت أيها النّدب الفهم، والشّهم النّهم، إذا توغّلت في كتابنا هذا، بدا لك من أنواع الإجابة، مثل ما ذكرت لك من التمثيل أو ضغفه، وأي أقلّ شفاء، وأكثر عناء، من إتيان أهل اللغة بالفعل الماضي، ثم إتيانهم له بآتيه ومصدره (ابن سيده، 2000، 1، 46). ومن أعجب ما أخُصَّ به هذا الكتاب: تخلص الياء من الواو، وتعيين ما انقلبت عنه الألف المنقلبة، من ياء أو واو؛ وتحييز الرّائد من الأصل، بتخليص الثلاثي والرّباعي والخماسي؛ وهذا فصل لا يصل إليه إلا من قتل التّصارييف علمًا، وأحاط بعلل ما يجعله زائدًا من حروف الزوائد حُكْمًا، فإن المتأمل إذا تأمل في كتابي ما أججا وبأججا، وماجوج وماجوج، ورأى موضع كل واحد من هذه، لم يفرق بين أحكامها إلا أن يكون مُقيِّنا على علم التّصارييف.

وتظهر دولفعم النّفسيّة في حديثه عن خلجاته النّفسيّة التي لم يقدرها معاصروه قائلًا: "وليست الإحاطة بعلم كتابنا هذا، إلا لمن مهّر بصناعة الإعراب، وتقدّم في علم العروض والقوافي" (ابن سيده، 2000، 1، 47).

المبحث الرابع: التحليل النّفسي لأراء ابن سيده في "المحكم"

معجم "المحكم والمحيط الأعظم" يتكوّن من أحد عشر مجلّدًا؛ حيث يعدُّ مرجعًا لغويًا حيث يضمُّ كلمات اللغة العربيّة-معجم أحادي اللغة- ويثبت هجاءها ونطقها ودلالاتها واستخدامها ومرادفاتنا واشتقاقاتها؛ ويبدأ ابن سيده معجمه بمقدّمة طويلة قصد من خلالها إبراز قيمته العلمية وتفردته بعلوم لغويّة وأدبيّة ضمنها معجمه ولم يستطع أحد قبله- على حدّ قوله- أن يضمّنها في معجم أو كتاب؛ فالمقدّمة فيها استعراض لغويّ، وتطويل متعمد لدرجة الحشو؛ فيكزّر جملاً بنفس المعنى بدون فائدة جديدة (ابن سيده، 2000، 1، 29-31). كما أنه يعتمد كثيرًا على المحسنات البديعيّة- وخاصة السّجع وحسن التّقسيم-؛ مبيّنًا امتلاكه لمفردات اللغة وتراكيبها- حقيقة ومجازًا- ففيها إبراز لقيمتها العلميّة وفهمه لقواعد اللغة وعلومها وآدابها؛ ويوجّه حديثه بشكل خطابي تعليمي تلقيني، يبين أنه الشّيخ العالم الذي يشرح ويوضح للسائل؛ يقول: "فقد أوتيت بغيتك" وبعدها مباشرة يقول: "فقد ملكت أمّنيك"، فالجملتان بمعنى واحد" (ابن سيده، 2000، 1، 30).

ويقول مبيّنًا أن عنده من العلم ما ليس عند غيره: "أوتيه وحرموه، وأوجده وأعدموه" (ابن سيده، 2000، 1، 32). وهذه التّزعة جعلته يميل أحيانًا إلى استخدام كلمات غريبة وجزلة نجد صعوبة في فهمها- وخاصة التشبيهات التي مضى عليها ما يقرب من خمسة قرون- فهي مستمدة في أغلبها من العصر الجاهلي؛ وهذا ما دفع هنداي- محقّق المعجم- إلى بيان معنى كثير من الكلمات التي وردت في المتن وانتابها الغموض؛ فقام بشرحها والتّعليق عليها وبيان مصادرها التي أغفلها ابن سيده وخاصة في توثيق الأبيات الشعريّة أو الأبيات القرآنيّة (ابن سيده، 2000، 1، 32-30، 36 وغير هذه الصّفحات كثير جدًّا).

مهاجمة المؤلّفين غيره لإبراز نفسه



كثيرا ما يهاجم كتب غيره ويذكر المؤلف وكتابه بشكل صريح، ويهاجم بألفاظ سيئة تحط من قدرهم كعلماء، فيقل من شأن محتواها العلمي ومادتها المكتوبة؛ حيث يبرز ما فيها من خلل؛ من ذلك حديثه عن كتاب "الإصلاح"، وكتاب "المصنّف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب "النّوادر" لأبي عبد الله الأعرابي (ابن سيده، 2000، 1، 34، 38، 39، 40).

كما يهاجم عددًا من اللّغويين البارزين قائلًا: "وأما ما في كتاب "الإصلاح" و"الألفاظ"، وكتب ابن الأعرابي، وأبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي وغيرهم، من أمثال هذا الذي وصفت، فأكثر من أن يحصى مدّده، أو يُحصّر عدّده" (ابن سيده، 2000، 1، 39).

وأى شيء أدل على ضعف المنة، وسخافة الجنة، من قول أبي عبيد القاسم بن سلام، في كتابه الموسوم "بالمصنّف". ويعيب في مكان آخر على ابن الأعرابي قائلًا: "وهل أدل على قلة التفصيل، والبعد عن التّحصيل، والجهل بالنتيجة والتّلقيح، وجودة الانتقاد والتّقيح، من قول أبي عبد الله بن الأعرابي، في كتابه الموسوم بالنّوادر" (ابن سيده، 2000، 1، 40).

ويبين ميزته عن غيره قائلًا: "وهذا الذي أبنيت لك في أخطيت ونحوه، باب لطيف قد نبا عنه طبع أبي عبيد وابن السكيت وغيرهما من متأخري اللّغويين؛ فأما قدامؤهم فأصيق باعًا، وأنبى طباعًا؛ ألا ترى ابن الأعرابي يقول في كتابه الموسوم بالنّوادر.. وقد نحا أبو عبيد في كتابه الموسوم "بالمصنّف" هذه المنحة التي نحاها ابن الأعرابي" (ابن سيده، 2000، 1، 40).

وعندما يفتخر بمعجمه "المحكم" مقارنة بغيره يقول: "فإن رأيت قضية من كتابي قد ساوت قضية من كتب أهل اللّغة في اللفظ، أو قاربتها، فأقرن القضية بالقضية، يلح لك ما بينهما من المزية، إمّا بفائدة يجلّ موضعها، وإمّا بصورة عبارة يلدّ موقعها" (ابن سيده، 2000، 1، 38).

النباهي (الافتخار) بنفسه وبأعماله العلميّة

يتباهى بنقده لغيره بنرجسيّة واضحة قائلًا: "وهل يقوم بانتقاد هذا النوع إلا مثلي، من ذوي الجفّظ الجليل، والاضطلاع بعلم النحو وصناعة التّحليل، وإن كنت بين خنالة جهلت فضلي، وأساء الدهر في جمعهم بمثلي، وهل ينفع اليانس من الحياة بكاه، أحمد الله على كلّ حال ولا أتسكّاه (ابن سيده، 2000، 1، 39).

كما يتباهى بنفسه كثيرًا ويفتخر بأعماله العلميّة المختلفة؛ فيتحدّث عن مؤلفاته؛ وخاصّة كتابه "الوافي في علم القوافي" في أكثر من موضع مع مقارنة نفسه بغيره ليبين أنّه أكثر علمًا ومؤلفاته أكثر قيمة، وهذا كتاب فريد من نوعه في علم القوافي واعتد عليه كثيرًا في تحليل الشّواهد الشعريّة وبرزت مصطلحاته من خلال مجلّدات المعجم وخاصّة المجلّد الثّاني (ابن سيده، 2000، 1، 33، 35، 40).

ويؤكّد هذا الفخر علانية قائلًا: "فأين علم أبي عبد الله بن الأعرابي بأسرار هذه الصّنع من علمي، أو فهمه لغوامض تأولها من فهمي؟ إلى غير ذلك، ممّا لو تفصّيته لأتعبت خاطر، وملأت الفمّاطر، لكّيت أثرت طريق التّقليل، إذ أقلّ من ذلك كافٍ في التّمثيل" (ابن سيده، 2000، 1، 40).

يتكلّم عن معجمه "المحكم" مبيّنًا قيمته وعظم قدره على غيره؛ يقول: "صنّفت كتابي "الموسوم بالمحكم"، وهو الذي اختطبتني نداءً عليه، وخطابي لك خداء بك إليه. فرّد بدائع زهره، وردّ مشارع نهره، وتمشّ في بساتينه، وقليب طرفك في تهاويل رياحينه، وملّ إليه عينًا وأدنا، تأنّق به نعمة وحسنا، ولا يرميتك الحسد بما يكمد منه الرّوح والجسد، فإنّه لا راحة لحسود، ولا نعمة دائمة لكثود" (ابن سيده، 2000، 1، 36-37).

ويصف معجمه بأوصاف نادرة قائلًا: "فإنّ كتابنا هذا مدعاة للنّفوس الشّاردة، مذكاة للقلوب الهامدة، مغلّقة بفؤاد المتقوّم، مأنّقة لعين الناظر المتوسّم، روض ما أزهى أزاويره، وأبهى في عيون الأفاهيم أشاهيره".

"إنّ كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل، مقترن الشّكل بالشّكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذب الفصول، مرتّب الفروع بعد الأصول، ومنّ شافه علمًا من علم الضّرورة، لم يأل في التّحفظ بتقديم المادة على الصّورة. هذا إلى ما تحلّى به من التّهذيب والتّقريب، والإشباع والإتساع، والإيجاز والاختصار، مع السّلامة من التّكرار، والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة، فكم باب في كتب أهل اللّغة أطالوه، بأن أخذوا محموله على أنواع جمّة، وأخذته أنا على الجنس، فعنيت عن ذكر الفروع بذكر القس" (ابن سيده، 2000، 1، 37).

كما يبرز منهجه بحديث تفصيلي يريد من خلاله أن يبيّن أنّه لم يسبقه غيره فيه وخاصّة في عدّة مباحث؛ قائلًا في مواضع متفرّقة:

- ومن أعرب ما تضمنه هذا الكتاب، أن يكون ...

- وممّا انفرد به كتابنا: الفرق بين القلب والبذل ...

- ومنه التّنبيه على شاذّ ...

- وفي كتابي هذا أشياء من الاختصار، وتقريب التّأليف، وتهذيب التّصنيف، ما لو ذكرته لكان فيه سرف جامع، ولكّيت بهذا الذي أريته منه قانع.

وأنت أيّها النّدب الفهم، والشّهّم النّهّم، إذا توغّلت في كتابنا هذا، بدا لك من أنواع الإجابة، مثل ما ذكرت لك من التّمثيل أو ضغفه، وأي أقلّ شفاء، وأكثر عناء، من إتيان أهل اللّغة بالفعل الماضي، ثمّ إتباعهم له بآتيه ومصدره.

وليست الإحاطة بعلم كتابنا هذا، إلا لمن مهّر بصناعة الإعراب، وتقدّم في علم العروض والقوافي (ابن سيده، 2000، 1، 41-47).



ومن دواعيه النفسية الافتخار برسوخ علمه وتمكّنه من مادته سرده لعدد من المصادر وأمّهات الكتب؛ قائلاً: "وأما ما ضمّناه كتابنا هذا من كتب اللغة: فمصنّف أبي عبيد، والإصلاح، والألفاظ، والجُمهرة، وتفسير القرآن، وشروخ الحديث، والكتاب الموسوم بالعين، ما صحّ لدينا منه، وأخذناه بالوثيقة عنه، وكُنْتُ الأَصمعيّ، والقراء، وأبي زيد، وابن الأعرابيّ، وأبي عبيدة، والشَّيبانيّ، واللَّحْيانيّ، ما سَقَطَ إلينا من جميع ذلك، وكُنْتُ أبي العباس أحمد بن يحيى: المجالس، والفصيح، والنوادر؛ وكتابا أبي حنيفة، وكُنْتُ كُرَاع، إلى غير ذلك من المختصرات، كالزَّبْرَج، والمُكْنَى، والمُبْنَى، والمُنْتَى، والأضداد والمُبدل، والمقلوب، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعلّلة العجيبة، الملخّصة الغربية، المؤثّرة لفضلها، والمُسْتَرَاد لمثلها، وهو حَلَى كتابي هذا ورِيئُه، وجماله وعَيْئُه، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معلّلة، عربية كانت أو دخيلة. وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخّرين، المتضمّنة لتعليل اللغة ... إلى أشياء اقتضيتها من الأشعار الفصيحة، والخطب الغربية الصّحيحة.

هذا جميع ما اشتمل عليه كتابنا "المُحْكَم"، وهو في هذه الصنّاعة "المحيط الأعظم" قد دَبَّجْتُ فتانه، وأدْمَجْتُ مِتانه، وشكّلت أسانه، ووكّلت بالإعراب عنه لسانه، وأبرزتُه للذّهر مفتخرًا، وبذلت فيه من مكنون علمي ما كُنْتُ له مُدْجِرًا" (ابن سيده، 2000، 1، 47-48).

حَبّه الشّدِيد لأفذاذ اللّغويين والأدباء

أولاً من النّحاة: سيبويه - إمام النّحاة - يقول عن سيبويه: "ولله درّ خُذّاق النحويين، سيبويه فمن دونه، في التّحرّز من ذلك ... ممّا لا أستطيع وفكّ على جميعه، إلا بقراءة كتاب سيبويه، الذي هو نُور الأداب، ومادة أنواع الإعراب" (ابن سيده، 2000، 1، 38).

وأبرز اهتمامه بالصّرف والأوزان الصّرفيّة والمسائل النّحويّة، كما اعتمد على غيره من أئمة النّحاة الكبار الموثوق في علمهم وترسيخهم لقواعد اللّغة وخاصّة اهتمامه الكبير بأبي علي الفارسي، كتبه: الحليّات، والبغداديات، والأهوازيات، والتّدجيرة، والحجّة، والأغفال، والإيضاح، وكتاب الشّعر (ابن سيده، 2000، 1، 41-46).

ثانياً من اللّغويين: ابن جنيّ؛ الذي إذا تتبنا حياته وما مرّ به من أفكار وتجارب ومؤلّفات نجدها موازيّة لنفسية ابن سيده وحياته، حتّى الاتهامات التي اتّهم بها من الشّعوبيّة وغيرها موازية له، وقد ذكر اعتماده على كُنْتُ أبي الفتح عثمان بن جنيّ؛ كالمغرب، والنّمّام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسرّ الصنّاعة، والتّعاقب، والمحتسب (ابن سيده، 2000، 1، 47-48).

آراء العلماء في ابن سيده

قال أبو عمّر الطلمنكي: دخلتُ مُرسية، فنشبت بي أهلها ليسمعوا عليّ غريب المُصنّف، فقلْتُ: انظروا من يقرأ لكم، وأمسك أنا كتابي، فأتوني بإسنان أعمى يُعرّف بابن سيده، فقرأه عليّ كلّهُ، فعجبْتُ من جفّظهِ. قال: وكان أعمى ابن أعمى (الذهبيّ، 1992، 18، 144).

وقال محمّد بن مرادة اللّغويّ: كان بالمشرق لغويّ، وبالمغرب لغويّ في عصر واحد، لم يكن لهما ثالث، وهما ضريران: فالشرقيّ أبو العلاء، والمغربيّ ابن سيده، بالأندلس، وابن سيده أعلم، وكفاه أنّه أملى "المحكم" و"المخصّص" من صدره (الفيروزآبادي، 2000، 76).

قال القاضي الجيانيّ: كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوقّراً على علوم الحكمة وألف فيها تأليفات كثيرة، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللّغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلّق بعلومها، وكان حافظاً، وله في اللّغة مصنّفات (ياقوت الحمويّ، 1993، 4، 164).

أهمية البحث

يعدّ التّحليل النّفسيّ لشخصية ابن سيده أمراً بالغ الأهمية لما انتاب هذا العالم من ظروف نفسية بسبب أنّه كان أعمى من ناحية وتجاهل علماء عصره له من ناحية أخرى، وبالرغم من ذلك أَلَفَ معجمين كبيرين مختلفين في آن واحد؛ أحدهما عام وهو "المحكم والمحيط الأعظم"، والآخر خاص (معجم موضوعات) وهو المخصّص؛ ولذا فقد كانت له اتّجاهات نفسية تنعكس على آراءه ونجد في كتاباته ما هو مختلف - بقدر كبير - عن غيره من المؤلّفين في مجالات شتى سواء أكانت لغوية أم صرفية أم نحوية أم أدبية، فقد شكّل رؤية خاصّة انطلق من خلالها إلى تأليف معجمه المحكم الذي نجد فيه ملاحظات كثيرة.

التّحليل النّفسيّ أصبح نظرية سيكولوجية شاملة عن الإنسان، يقوم بدراسة العناصر الطّبيعية للكائن البشريّ، مع الكشف عن ميوله ومكباته النّفسيّة وعالمه الدّاخليّ، ومن خلالها نستطيع تحديد ملامح شخصيته، وهذه الفكرة المعمول بها في تحليل الأعمال الأدبية وتوظيفها في النّقد الحديث؛ وهي فكرة الكشف عن ميول ابن سيده والكشف عن مكباته النّفسيّة وعالمه الدّاخليّ، والتي من خلالها نستطيع تحديد ملامح شخصيته؛ وهذا تدركه جيداً عند عرضنا البسيط لنشأته وشيوخه والاتّجاه السياسيّ الذي عاصره لنكشف التّقاب عن شخصية بارزة استطاعت بنفسية - الأعمى - والمتعدّدة الاتّجاهات أن تبرز أعمالاً عجز عنها المبصرون.

درس ابن سيده ما كان شائعاً في عصره وما يتفق مع حالته، فعني بعلوم اللّغة والدين، ونهل منهما بالقدر الذي كانت تسعفه به ذاكرته الجبارة، حتّى وصفه معاصروه بأنّه كان حافظاً لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللّغة والأشعار وأيام العرب، كما توفّر على علوم الحكمة والمنطق حتّى وصفه صاعد اللّغويّ بأنّه من خُذّاق المنطق.



بظهور الاتجاه النَّفسيِّ كمنهج في التَّحليل، استطاع النَّقاد العربيُّ أن يستوعب المنهج ويتَّخذه كوسيلة، في تحليل شخصيات بعض الكُتَّاب؛ ولهذا كانت العلاقة وطيدة بين النَّقد والتَّحليل النَّفسي. ويمكن تسجيل الملاحظات المتَّصلة بالرُّؤية التي يسعى النَّقاد من خلالها مقارنة النُّصوص المكتوبة من منظور نفسي، وأهمُّ ما يمكن الأخذ به هو الميل الواضح إلى تبني مزاجية منهجية بين المنظور الفرويدي وبين المقاربة السييسولوجية إلا أنَّ مسار التَّحليل ينطلق الرُّؤية النَّفسية والواقع اللاشعوري ليصل إلى الحقيقة الاجتماعية.

من خلال الصِّلة بين النَّقد والتَّحليل النَّفسي، فإنَّ النَّقد يركز على النَّصِّ وتحليله وتفكيك بنيته، مع الإستعانة بالمنهج النَّفسي؛ حيث تكمن أهمية علم النَّفس والتَّحليل النَّفسي بالنِّسبة للنَّقد في أنَّه مضلة واسعة تندرج تحتها عدة مسارات مهمَّة، النموِّ الإنسانيِّ ومراحله إلى سنِّ الرُّشد، وعملية التَّأويل والتَّحليل وكذلك فعالية الاستشفاء والعلاج.

حظي نقدنا الحديث، بظهور عدَّة اتجاهات فكرية ساهمت في تحليل بعض الدِّراسات الأدبية، ومن بين هذه الاتجاهات النَّقد النَّفسيِّ والذي ظهر خلال تأثر مجموعة من النَّقاد العرب بالنظريات الغربية والتي حاولوا تطبيقها على الأدب العربي؛ حيث إنَّ المنهج النَّفسي، لم يظهر في الأدب العربيِّ بقوة، فلامحه كانت بسيطة من خلال تسجيل بعض الملاحظات، التي استعان بها النَّقاد وتم تطبيقها على الأعمال الأدبية ولم يتَّخذ كمنهج مستقلِّ بذاته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن بشكوال، أبو القاسم حلف بن عبد الملك بن مسعود (2000). كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. القاهرة: مكتبة الحانجي.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي (1316). المخصص. بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية.
- ، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي (2000). المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هندراوي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حيدوش، أحمد (ب.ت). الاتجاه النَّفسيِّ في النَّقد العربيِّ الحديث، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (1992). سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمَّد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرِّسالة.
- رودريكس، داريو كابانيلاس (1975). ابن سيده المرسي: دراسة في حياته وأثاره. المناهل. ترجمة: حسن الوراكلي، العدد 2، ص. 324-333.
- السرجماني، راجب (2010). قصة الأندلس. القاهرة: مؤسسة اقرأ.
- سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ب.ت). المغرب حلي المغرب. تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف.
- الصُّوفي، عبد اللطيف (1986). اللغة ومعاجمها. دمشق: دار طلاس.
- الطَّاهر، علي جواد (1997). مقبمة في النَّقد الأدبي. بيروت: دار المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر.
- عيلان، عمر (2010). النَّقد العربيِّ الجديد. بيروت: الدَّار العربية للعلوم ناشرون.
- فارسي، خديجة (2014). النَّقد النَّفسيِّ في كتاب عقدة أوديب في الزَّوايا العربية لجورج طرابيشي. رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
- الفيروزآبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد (2000). البلغة في تراجم أئمة النَّحو واللُّغة. دار سعد الدِّين للطباعة والنَّشر والتَّوزيع.
- قاسم، رياض زكي (1987). المعجم العربي: بحث في المادة والمنهج والتَّطبيق. بيروت: دار المعرفة.
- المليجي، حلمي (2000). علم النَّفس الاكلينيكي. القاهرة: دار النهضة العربية.
- المؤذن، حسن (2009). الزَّوايا والتَّحليل النَّفسي: قراءات من منظور التَّحليل النَّفسي. الزَّباط: الدَّار العربية للعلوم.
- نجم، خريستو (1991). في النَّقد الأدبي والتَّحليل النَّفسي. بيروت: دار الجيل.
- اليازغي، سعد (2002). هيجان الزَّويلي دليل النَّقاد. بيروت: دار المؤسسة العربية للدراسة والنَّشر.
- ياقوت الحموي (2000). معجم الأدياء. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- Ünlüer, Ceyhun (2020). İbn Sîde ve el-Muhkem ve'l-Muhîtu'l-A'zam Adlı Sözlüğü. Yayımlanmamış Doktora Tezi, Hitit Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Çorum.